الأحلام والكابوس والسومنمبولزم

معرّبة بتصرّف من جريدة المصر الاميركية بقلم حضرة رفعتلو اسعد افندي داغر

تمهيد

رأيتُ اشياء شتّى لا عِداد لها ... والعين مُغمَضةٌ والحسُّ في عَدَمِ
وطِرتُ في الجوّ أحيانًا وسرتُ الى ... أقصى البلادِ ولم اخطر على قدَمِ
كلّمتُ مَنْ لم يكلّمني ونحتُ على ... مَنْ لم يمُتْ وبلا خطٍّ جرى قلمي
وشدّ ما خِفتُ من غولٍ بلا سَبَبٍ ... رام اغتيالي بغيًا وهو لم يرُمِ
وكم رأيتُ بداري اللصَّ يسرقني ... وإنهُ حول داري قطُّ لم يحُمِ
وكم تصوّرتُ أسوارًا وهِمتُ على ... وجهي فرارًا ولو نُبِّهتُ لم أهِمِ
وكم تصوّرتُ من خيطٍ أناخ على ... صدري وحاول تعجيلاً لمختَرَمي
وكل ذاك وهذا في الحقيقةِ قد ... لَقِيتُهُ وأنا في غفلةِ الحُلُمِ

مسألة الرؤى واحلام من المسائل العويصة التي علقت بها خواطر الفلاسفة وقلقت لها افكار العلماء من قديم الزمان الى الآن ومعظم الاهتمام بها مسوق نحو ما يقع منها ويجري مجرى التكهن والسبق بالاخبار عن حوادث لا تلبث أن تأتي مصدقة للانباء منطبقة عليهِ كل الانطباق . وما هو بالنزر القليل . ولا بالمقول عن سالف الاساطير من عهد المخرقة والتخرّص والتدجيل . حتى لا يلتفت اليهِ . ولا يُعوّل عليهِ . بل لدينا منهُ حوادث جمة تعدُّ بالمئات . مأثورة مع اصدق الاخبار عن افضل الرواة الثقات . بل قلّ من لم تعرض لهُ رؤيا تحققت . وأحلام صدقت . يأخذ العمل بهِ ممن يثق بصدقهم خبرُ حلم شاهد صحتهُ بعينهِ . بعد ما قصهُ صاحبهُ عليهِ . وهذا مسلّم بهِ بالإجماع . وكنتُ أودُّ لولا ضيق المقام وعدم الحاجة أن أثبت بعض الحوادث المتحقق عندي وقوعها بعد إن دلّت عليها الرؤى وانبأت عنها الأحلام مني ومن الذين لا ارتياب في صدقهم

ولستُ أُنكرُ انهُ قد يُوجَدُ عشرة في المئة من الذين لا يرون أحلامًا وبالتالي لا يعتقدون بصحتها لان الانسان قد لا يُؤمن حتى يرى بعيني نفسهِ . فقد روى بعضهم

وهو ممن لا يعتقدون بصحتها على الاطلاق انهُ كان يحلم حينما ينام متألماً من سوء هضمٍ او تعبٍ مفرطٍ وفي ما سوى ذلك لم يشاهد قطُّ حلماً . فعندهُ أنَّ " هذا كل ما في الأحلام " لكنهُ زاد على ذلك قولهُ : انَّ اخاهُ رأى في نومهِ أنَّ احدى السفن المعهودة عندهُ اصطدمت بصخرٍ فانكسرت وانهُ بسبب حلم اخيهِ هذا عدل عن ركوب تلك السفينة بعدما عزم عليهِ ولم تمضِ الاَّ ايام قليلة حتى شاع خبر ضياع هذه السفينة وذهاب اكثر ركابها غرقاً. ونُقلَ عن بعضهم انهُ لم يرَ حلماً في حياتهِ وانهُ وهو في فراشهِ يكون إما مستيقظاً او نائماً فحين يكون نائماً لا يعلم شيئاً البتة منذ ما يطبق جفنيهِ حتى يستيقظ . وأرى أنَّ هذا اندر من النادر . وكثيرون لا يعتقدون بأنَّ في الاحلام شيئاً خارقاً العادة او فائقاً الطبيعة ولا يسلمون بصحة علاقتها بالحوادث التالية لها لكن قلَّ منْ لم يشاهد حلماً او لم يكن موضوع حلمٍ او لم يَرَ ابوهُ او أُمهُ اوجدَّهُ او قريب آخر لهُ او صديقهُ اشياء في الحلم كانت ظلاً لحوادث آتية. فقد قرَّرت احدى السيدات انها اعتادت أن تحلم كل ليلةٍ وأنَّ كل ما توقَّع لها في حياتها تقريباً من جيدٍ ومن رديءٍ كانت تبشرها بهِ الرؤى وتنذرها بهِ الاحلام ويرى البعض أنَّ الافكار تعمل بعضها ببعض في الاحلام وبهذه الواسطة تعلن اشياء كثيرة لا يُستطاع استجلاؤها بالوسائط الاعتياديَّة الطبيعيَّة وعلى هذه الطريقة قال بعضهم ان أرواح الموتى تناجي الاحياء . وقال آخر : " ان الله في الايام القديمة كان يكلِّم شعبهُ بالرؤى والاحلام فماذا يمنع انهُ سبحانهُ وتعالى يستخدم لمكالمة شعبهِ الآن ما استخدمهُ في قديم الازمان " فهذا لا يشارك القائلين بعدم صحة الاحلام فقط بل يرى أنَّ استخفافهم بها من مقوِّضات اركان الدين. وما أحسن ما قالتهُ احدى السيدات الفاضلات جواباً لاحد العلماء وقد اكثر امامها من الهزء بالاحلام : « ان في السماء والارض اشياء كثيرة لم تحلها بفلسفتك»

تاريخ الاحلام وصورها

يراد بالاحلام في هذه الرسالة الرؤى التي تعرض في النوم الطبيعي وبالكابوس[1] كل حلمٍ غير اعتياديٍ يعرض في غاية الحدة مصحوباً بضيق تنفس وتصوُّر اخطارٍ هائلة متنوعة. وبالسومنمبولزم الكلام والمشي او مباشرة اعمال أُخر في الحلم عند النوم الطبيعي. وقد ذكرت الاحلام بمطلق صورها وانواعها تقريباً في اقدم كتب العالم . فقد ورد في التوراة ان الله كلم يعقوب في حلم عن زيادة المواشي وحذَّر لابان من التعرُّض ليعقوب

(١) ويطلق عليهِ ايضاً الجاثوم والجثام والضاغوط

عند انطلاقه . حتى ان احلام يوسف ورؤى فرعون مع شرح امامها تشغل قسمًا كبيرًا من السفر الاول من التوراة. وحلم سليمان واحلام نبوخذ ناصر وإخطار يوسف خطيب مريم العذراء لكي يأخذ الولد ويهرب به الى مصر هي فصول من تاريخ الديانة المسيحيَّة . على ان هذه جميعها تعزى الى قوة فائقة الطبيعة فلا مدخل لها في البحث عن صور الاحلام الاعتياديَّة. لان التوراة تفرق بين هذه الاحلام والاحلام الطبيعيَّة التي هي موضوع كلامنا فتشير بكل إيضاح الى صفات الاحلام الطبيعيَّة ففي سفر ايوب ان الشرير "كالحلم يطير فلا يوجد كطيف الليل "وفي سفر المزامير ان الله يحتقر خيال المتكبرين "كحلم عند التيقُّظ" وفي سفر الجامعة ان "الحلم يأتي من كثرة الشغل"

وقال شيشرون ان اعظم حكماء الرومان لم يترفعوا عن الالتفات الى انذارات الاحلام الخطيرة. وروى ان مجلس الاعيان في عصره أنهى الى الامبراطور تيبريوس جونيس ان يبني هيكلاً لاحد الآلهة امتثالاً لحكم سسيليا. ويلمح من كتابات هيرودوتس الاعتقاد في ايامه بان للاحلام قوة فائقة فكان الملوك يتنازلون عن عروشهم بسبب الرؤى والكهنة يحوزون سلطة عظيمة بواسطة الاحلام والمدن تُرمَّم على يد اناس كانوا أخربوها ثم انذرتهم الاحلام حسب اعتقادهم فعادوا الى إصلاحها . وهكذا اغتال كمبز أخاهُ وحمل زركسيس على بلاد اليونان عملاً بالرؤى. وكان افلاطون وسقراط من جملة من اعتقد بالاحلام حتى ان ارسطو سلَّم بامكان وجود قوة فيها خارقة العادة. وكان لها شأن عظيم عند المصريين والكلدانيين حتى ان مفسر الاحلام عندهم كان رفيع المقام منظورًا بعين التجلة والاحترام ومعدودًا في مصاف الحكماء

والذين نُقل عنهم انهم لم يحلموا قط في حياتهم يسندون قولهم هذا الى عدم تذكرهم حلمًا . لكن حجتهم هذه لا تُعتبر دليلاً على صحة المنقول عنهم اذ من المقرَّر ان الحكم على وجود الاحلام من مجرد تذكرها بعد استقراء ناقصًا فكم من الحوادث التي لا عداد لها قد عرضت في الرؤى وانقضت واشتبكت ظواهرها ممتزجة الى حدٍّ لا يجد عنده من يروم تذكرها سوى غموض وانطماس وضرب اخماس لاسداس . فقد يستيقظ الانسان من نومهِ وهو على يقين تام بانهُ عرض لهُ في رؤيا الليل مئات من الاحلام حائرٌ كيف لو طلب منهُ ان يتذكرها بايضاح لما استطاع ان يذكر منها اكثر من واحد او اثنين فضلاً عن أن الذين يدَّعون بانهم لا يحلمون يستدل من ملاحظتهم وهم نيام على عكس مدَّعاهم فانهم يبدون اشاراتٍ تدل على انهم في حلم بل كثيرًا ما يتكلمون ويجيبون ما يطرح

عليهم من المسائل . ولم يقع اتفاق جوهريٌّ بين الباحثين الاَّ على وجهٍ واحدٍ من هذا الموضوع وهو صفات الاحلام العموميَّة. فان اعتبار الوقت فيها معدوم وسائر التقديرات الحقيقيَّة مشوَّشة .ومن قواعدها التي لا تشذُّ ان لا شيء يبدو فيها غريباً في اثناء وقوع الحلم وما يصدر من التأثيرات عن حوادثها المتجانسة لا يكون منهُ شيء في حالة اليقظة وإن كان فهو زهيدٌ الى حدّ أنهُ لا يولد شيئاً من نتائجهِ العادية ولهذا نرى كثيرين من اصدقائنا الذين ماتوا من زمن طويل يظهرون لنا في الحلم ويكلموننا . وحوادث كثيرة قديمة العهد تعرض لنا في الرؤى على غاية من البسط والصراحة وكثيراً ما نُحمَل على اجتنحتها الى بلادٍ بعيدة عنا بدون ان نقاسي ادنى صعوبةٍ في قطع المسافات البعيدة. وقد نمشي على شفا جرف هار ونرى انفسنا هدفاً لطعنات الاعداء او خطر الغرق في امواج البحار المتلاطمة ولا نوجس لذلك ادنى خوفٍ . وبما ان الذاتية تكون فيها مفقودةً فلا عجب عندها من تحوُّل النوع او العمر او الاسم او البلاد او المهنة فان فتاةً رأت ذاتها في الحلم مدرجةً في الكفن وهي تصغي الى نواح النادبات حولها فلم يأخذها ادنى اندهاش من رؤية ذاتها ميتة وانها على كونها ميتةً استطاعت ان تسمع حتى انهُ لم يذهلها ايضاً ان حفلة الدفن انقضت بدون ان يُغلق عليها في التابوت ولا ادهشها ايضاً انها ما لبثت بعد ذلك أن حلمت أنها حيَّة تباشر عملها المعتاد. وما نتجاوز هذه الصفات العامة لطبيعة الاحلام حتى تتنوَّع فيها الآراء وتتلون الاقاويل في تضاربٍ وتناقضٍ ودفاعٍ ونزاع بين كثيرين من اهل العلم والعرفان

الكابوس

الكابوس شيء يعرض للانسان في حالة النوم بنوعٍ مخيفٍ جدًّا وهائل الى الغاية ومن ذلك اعتقاد العامة فيهِ بانهُ روحٌ شيطاني يفاجئ النائم ويسومهُ اشد العذاب . فيتَّقونهُ بالحرز والحجاب. او بتعزيم يخرق بهِ عليهم احد اولئك المتخذين الشعوذة والدجالة للتحصيل والاكتساب

فعند حدوث الكابوس يقطع الانسان باستحالة التحرُّك او التكلم او التنفُّس مع الشعور بثقل ضغط شديدٍ على صدرهِ واقتراب خطرٍ لا قوة لهُ على دفعهِ. واحياناً يتحقق انهُ هالك فيجمع كل قواهُ ويجاهد عبثاً محاولاً الاستغاثة وطلب المساعدة حتى يتسنى لهُ اخيراً — بعد جهد العناء وعلى شفار اليأس — ان يصرخ واذ ذاك اتفق ايقاظهُ بلمس صديق او صوت صاحبٍ تنقشع عن عينيهِ سحابة الرؤيا وتغادرهُ متهالكاً على

التنفس بملء الفطيط والشخير يكابد من التعب اضعاف ما يكابدهُ لو عانى الاشغال الشاقة ساعات بعدد دقائق مدة الكابوس. وان لم يتفق لهُ من يوقظهُ فتوالي صراخهِ ينبّههُ والاَّ فالكابوس يظل يجالدهُ مدة تتراءى لهُ قروناً ودهوراً وان كانت بحدّ ذاتها قصيرة

يروى ان شاباً تحكّمت فيهِ اعراض الكابوس الشديدة حتى كانت احياناً ظواهر العارض لا تحول من امامهِ الاَّ بعد انقضائهِ بساعة وهو موغلٌ بالصراخ والانين والابتهال الى الله ووجههُ مغشيٌّ بظواهر الالم الفادح . وحكي عن فتىً آخر صحيح متعافٍ سليم البنية منذ ولادتهِ أنهُ أُصيب بعارض الكابوس حينما بلغ الرابعة عشرة وبعد إذ انتابهُ عدة مرار عزم ابوهُ ان ينام معهُ لكي يوقظهُ عند حدوث العارض ففي احدى الليالي أوقظ الاب مذعوراً بصوت ابنهِ يدعوهُ بصراخ مخيف يا ابي : يا ابي : اني خائف وشعر الوالد اذ ذاك بيد ابنهِ قابضة بشدة على رسغهِ ثم أُغمي على الصبيّ ومات في الحال وبعد فحص جثتهِ وُجد انهُ مات بداعي وقوف حركة دمهِ وقد نتج عن شلل سببهُ الخوف. وحوادث كثيرة كهذه نراها كافية لأن نتقدّم بها الى الاطبّاء الالباء ونستلفت انظارهم الى البحث في الكابوس بحثاً طبيّاً لعلنا نجد منهم بياناً شافياً وعلاجاً وافياً

ويرى العلامة برايردي بوامون ان للكابوس عوارض مختلفة ففي بعضها يرى المصاب انهُ طائر في الهواء فقد روي عن مصاب كان ينطق في اثناء العارض باصوات غنمة غير واضحة وهو منتفض الشعر مأخوذ بالرعب والذعر صارخاً في غضون ذلك « يا للعجب العجاب . هو ذا انا طائرٌ على اجنحة الرياح في السحاب . محلق فوق الاحادير والهضاب » وكان يبقى عدة ثوانٍ بعد إفاقتهِ متصوّراً نفسهُ سابحاً في عباب الهواء . وبعضهم عند ما يصيبهم العارض يطفرون على الارض تطاردهم الاهوال والاخطار . وحسب رأي هذا الاستاذ ان المصاب بعارض الكابوس من الاولاد يرى نفسهُ واقفاً على شفا جرف هار يكاد يتهوّر ولا يتقدّم قليلاً في السن حتى يصير يرى اللصوص تنقب البيت او يخال لهُ انهُ حكم عليهِ بالموت وبالتدريج يأخذ يتصوّر قططاً وكلاباً او وحوشاً مفترسة ملقاةً على معدتهِ . « وثقل هذا التصور يكون خانقاً بينما يبعث الدم على الجمود من جرّاء الخوف » ومع ان ليس كل عارض من الكابوس يرافق بالحركة والصوت فالقارئ يلاحظ ان الكابوس يقرب من نوع « السومنمبولزم » حينما يصرخ المصاب به او يثب من فراشهِ او يبدي ادنى حركةٍ

السومنمبولزم

يُشاهَد في ابسط هيئاته حينما يتكلم الانسان في نومه فيكون نائمًا حالمًا على ان العلاقة المنقطعة في الغالب بين الاعضاء الخارجيَّة والتصورات العقليَّة تبقى كذلك وقد تُستردُّ كلها او بعضها ويكثر الكلام في النوم عند الاولاد. وكثيرون من البالغين الذين ليست بهم هذه العادة تراهم يهمسون ويدمدمون في نومهم حينما يفرطون في الاكل او حينما يصابون بحمى او بمرض آخر. اما الحركات الخفيفة فكثيرة الحدوث وكم من الذين يزعمون انهم لا يبدون شيئًا من ظواهر السومنمبولزم تراهم في نومهم يئنون ويصرخون ويسرون ويأتون حركات متنوعة باليد او الرجل او الرأس تختلف باختلاف علاقة التصوُّر العارض على اذهانهم. على ان عوارض السومنمبولزم تتدرَّج من هذه البسائط الابتدائيَّة الى ظواهر حادَّة مخيفة وحوادث معرقلة معقَّدة تفوق التصديق فقد رُوي عن أُناس اقترفوا جريمة القتل في اثناء حدوث السومنمبولزم لهم حتى ان بعضهم أوْدَوا باولادهم وبعضهم حملوا ما في بيوتهم من الامتعة والاثاث وبعضهم احرقوا ما عندهم من المواد القابلة الاشتعال. ويحكى عن نجَّار نهض في الليل وذهب الى حانوته واخذ يبرد منشارًا ولكن ما لبث صوت البرد ان ايقظهُ وكثيرًا ما سمعنا عن غرائب السومنمبولزم في حملها النيام على تسلق جدران البيوت واقتحام الاخطار والإقدام على غير ذلك من الاعمال التي لا يستطيع الانسان مباشرتها في حالة اليقظة وقد شاهدت بعيني فتاةً في اللاذقيَّة نهضت من مضجعها وخرجت من المنزل حتى جاءت باب احد بيوت الجيران فقرعتهُ تكرارًا قرعًا عنيفًا ثم رجعت على الاثر الى فراشها ولم تشعر بشيء ممَّا فعلت. وكان يُظن من قبل ان هؤلاء يعودون من تلقاء انفسهم الى مخادعهم ويضطجعون في فرشهم آمنين ان لم يوقظهم احد في حال شرودهم والواقع ان كثيرين منهم تهوَّروا من الشبابيك وقضي عليهم وآخرين غيرهم اشرفوا على شفا الهلاك ويلفوا جرف الخطر المبين

وقد كُتبت نبذٌ شتى ومقالات متنوعة في اثناء السومنمبولزم ونقل عن سيدة كانت معتمة بوضع رسالة على سبيل المباراة سعيًا وراء جائزة رُتبت عليها فنهضت من فراشها وهي نائمة وكتبت في موضوع لم يخطر ببالها ان تكتب فيهِ شيئًا وهي مستيقظة فحازت السبق ونالت الجائزة. واحيانًا تقضي اشغالٌ عقليَّة في الاحلام الاعتياديَّة غير محسوبة بسومنمبولزم وطالما سمعنا عن خطباء يأتون خطبهم وهم نيامٌ. وفي غربي ولاية نيوبورك من اميركا قسيس رأى في نومهِ انهُ وعظ عظةً بليغة على موضوع معين وفي الاحد التالي

ألقى الموعظة فكان لها وقع عظيم في آذان السامعين ولكن اعمالاً كهذه لا تعدُّ سومنمبولزماً ما لم ترافق في الوقت ذاته بعض الاعمال الخارجيَّة

مقايسة وتحليل

في الاحلام ثلثة اراء ممكنة ولكل واحد منها انصارٌ يدافعون عنهُ ويعزّزونهُ بالادلة والأقيسة واولها ان النفس لا تكون البتة في سكون تام عند ما تعرض لها الرُّؤى وان التصورات الحلميَّة انما تطرأُ على الفكر في وقت النوم. ومن اتباع هذا الرأي العلامة رتشرد باكستر ودليلهُ عليهِ قولهُ « منذ تمرّنت على التذكر لم استيقظ قط مرةً من نومي الاَّ وجدت نفسي منتهياً من حلمٍ فعندي ان الذين يقولون انهم لا يحلمون انما يقولون هذا لانهم ينسون احلامهم »

وقال المطران نيوتن ان اثقل نوم يعرو الجسد لا يقوى على التأثير في النفس ودلَّ على هذا بما بيَّنهُ من ان التأثيرات تكون اقوى والتصورات اوضح في النوم منها في اليقظة وهو نفس ما ارتآهُ الدكتور واتس واسهب الكلام عليهِ في فلسفتهِ وتبعهُ في ذلك السر وليم هملتون وحجتهُ انهُ كان يستيقظ المرار العديدة ويجد نفسهُ انهُ كان في حلمٍ . اما رأي العلامة باكستر فهو حدس لا دليل على صدقهِ وحجة السر وليم هملتون غير كافية لتأييدهِ لان الثانية او بضع الثواني التي تمضي بين وقت مناداة النائم باسمهِ او لمس جسدهِ لاجل ايقاظهِ واسترجاعهِ وعيهُ تكون كافية لرؤية حلمٍ طويل . فقد نام بعضهم مرة بينما كان احد اصدقائهِ يقرأُ لهُ وقد سمع اول جملة فاستيقظ والقارئ في اول الجملة الثانية وفي غضون ذلك رأى حلماً يستغرق قصةً كتابةً مدة ربع ساعة على الاقل . وروى الدكتور كربنتر عن واعظ نام على المنبر في اثناء ترتيل المزمور قبل الوعظ ثم استيقظ مذعوراً لزعمهِ انهُ لا بد ان يكون قد نام ساعةً على الاقل وان الشعب كلهُ ينتظر استيقاظهُ لكنهُ افرخ روعةً اذ عرف من نظرهِ الى كتاب الترتيل الذي في يدهِ انهُ لم ينم اكثر من مدة ترتيل نصف دور لا غير

والراي الثاني في الاحلام ان الانسان لا يحلم الاَّ في انتقالهِ من اليقظة الى النوم او من النوم الى اليقظة وعليهِ مشى بورغام . وقال السر بنيامين برودي في هذا العرض ان لا دليل راهن على صحة هذا الراي بل من المقرر ان الانسان دائماً يئن بل يتكلم وهو نائم غير مستيقظ البتة

والراي الثالث ان لا احلام في النوم الكامل الصحيح او فيهِ احلام قليلة قصيرة

وهذا الراي يرجح على ذينك من عدة وجوه . فمنها ان الغرض من النوم الحصول على الراحة وذلك بان ينقطع فيه الدماغ عن اعماله ويعتزل جهادهُ الشاق وقد ظهر بالاختبار انهُ بقدر ما تكون الاحلام مستمرة متواصلة يكون النوم متشوشاً وبالتالي مزعجاً غير مريح وهذا قد اوضحتهُ التجارب الاخيرة وايدتهُ الملاحظات الدقيقة وتاثير الحركة في محاولة تغيير الاحلام بدون إيقاظ النائم — او بايقاظهِ — سواء كان بالصوت او اللمس او الشم اوالنظر او السمع كلها واحدة على السواء

وقد يستيقظ النائم من حلمهِ متوهماً انهُ لم ينم غير بضع ثوان حالة كونهِ قد قضى ساعات عديدة على ان شعورهُ بطول وقت نومهِ يكون بالنسبة الى ما يتذكرهُ من حلمهِ ويمثلهُ من صور الحوادث التي رآها . وهذا الحكم لا يتناول النوم الثقيل الذي بدون احلام الذي ينتج عن امتلاء دموي او يصدر عن الثقيل على المعدة بالاكل او يكون مسبباً عن فرط اعياء او عن سهر طويل وانما يصدق على النوم الصحيح الذي يتمتع بهِ الاصحاء من اصحاب الاشغال السالمين من الامراض

واهمُّ سؤال في هذا الموضوع هو هل يستطاع تفسير الاحلام بموجب قواعد طبيعيَّة بدون الاستناد على افتراض الماديين او زعم اهل التصوُّر الخرافي. فمن المعلوم ان لا شيء من الظواهر الطبيعيَّة بالغ نهايتهُ من التحليل ومستوف حاجتهُ من التعليل والتفصيل وانما يتوسَّع العلماء في كلمة تفسير فيطلقونها على كل رأي يطبق الظواهر بقدر الامكان على النواميس الطبيعيَّة او يدرجها في سلك الاشياء الطبيعيَّة بحيث تظهر انها من ملحقات بعض القواعد العامة . فالكهربائيَّة مثلاً لم تدرك حقيقتها تماماً ولم تعلل بعد تعليلاً شافياً ولكن كيفيَّة فعلها معروفة عندنا حتى ان اعظم اسرارها المذهلة العالم بالطريقة التلغرافيَّة واضحة لدينا وضوح فعل البخار في جر القطر وتمشية السفن

وفي البحث بالمقايسات نجد غرضنا منها في العقاقير كالافيون والالكحول وغاز الحامض النيتروس والحشيش وغيرها . وفي تجارب دي كنسي في الاحلام قبل دخولهِ في النوم وبعد خروجهِ منهُ بواسطة الافيون ظهر أن نومهُ كان مصحوباً باحلام لا تختلف في صورها عن احلام النوم الطبيعي أما تأثير الالكحول في تأليفهِ صورة حلميَّة في الذهن بينما تكون المشاعر غير متوقفة بالنوم فهو لسوء الحظ معلوم عندنا. وعند ما يتوغل الانسان في السكر تضعف الارادة ويعبث الخلل بنظام القوى العقليَّة فيتعطل الحكم وتتمثل التصوُّرات باشكال غريبة مخيفة بقوة التهيج الناشيء عن الانفعالات السريعة في العقل

حتى يبلغ السكران حدّ الجنون وينتهي الى خمول تام وسباتٍ عميق وحينما يصحو من سكرهِ فتذكّرهُ لما فعل يكون مبهماً وغامضاً كتذكّر النائم لاحلامهِ وكذا يقال عن عدم استطاعتهِ قياس سرعة الوقت وتعذّر ادراكهِ تضارب التصورات وصعوبة وصف الافعال الادبيّة واستحالة الاطلاع على مفاد الكلام وقوتهِ في حالة السكر كما في النوم . وكلٌّ من الايثير والكلوروفرم وغاز الحامض النيتروس اذا أُخذ منهُ ما لا يكفي لاحداث السبات يسبّب اعراضاً متشابهة فقد روى صاحب هذه المقالة عن نفسهِ انهُ أُصيب في الحرب الاخيرة في اميركا بكسرٍ اضطرهُ الى عمليّة جراحيّة فنصح لهُ الاطباء ان يجرع مقداراً من الايثير وكان تأثيرهُ فيهِ انهُ بعثهُ على غيبوبة التي فيها خطبةً في الغاء الاسترقاق وضمنها شيئاً من الكلام البذيء القبيح ثم زاد فيهِ الذهول حتى صار ينشد ترانيم روحيّة ويودّع الحاضرين من الاطباء والجراحين الذين انذروا بقرب موتهِ ولما صحا كان تذكرهُ لهذه الافعال مشابهاً لمن يحاول تذكر احلامهِ بعد استيقاظهِ

اما تأثير الحشيش فقد اهتم كثيرون من العلماء في البحث عنهُ وأحسن ما جاء في تقاريرهم بشأنهِ كلام لثيوفيل غايتر وقد اقتبسهُ اكثر الخائضين الآن في عباب هذا الموضوع فانهُ جرّب الحشيش في نفسهِ وبعد ما تحكّم فيهِ تأثيرهُ خيل لهُ أن اهداب عينيهِ بلغت حدًّا فائقاً في الطول واخذت تلتوي مضفورةً كخيوطٍ ذهبيّة حول بكرات من عاجٍ ثم انقذفت ملايين من الفراش تتطاير امامهُ بنور مضطرب وهي تخفق باجنحتها كالمراوح واكثر من خمس مئة ساعة كبيرة اخذت تدق الوقت بأصوات هي غاية في حسن الايقاع وظهرت لهُ في الغرفة حيوانات متنوعة الاشكال تطفر وتقفز وتروح وتجيء وتراءت لهُ كل الوحوش الممسوخة وعرضت قدامهُ كل ظواهر الكابوس وتمثلت أمامهُ كل الغيلان الحلميّة وحسب تعديلهِ كان ينبغي لهذه الحوادث التي لم يُذكر من وصفها الاّ القليل ان تستغرق اكثر من ثلاث مئة سنة لانها جرت متوالية وهي كثيرة لا عد لها حتى ان لتقدير الوقت فيها كان متعذّراً على انهُ لما صحا وجد انهُ لم يقضِ في عراك هذه الطوارىء الاّ نحوًا من ربع ساعة . فهذه العقاقير تؤثر فقط في المجموع العصبي والدماغ فهي عوامل طبيعيّة تفعل بموجب قواعد طبيعيّة ومع ذلك لها من التأثيرات ما للاحلام في ما سوى انها لا تستأثر في كل حالة بالقوة المحركة ولا تقطع اعصاب الحسّ عن مجموع الحواس كما تفعل الاحلام غالباً

ستأتي البقيّة